

## علا هامش الدورة ( ٢٩ ) لمهرجانات القاهرة السينمائي الدولي

# " الخبز الحافي " سبة لكاتبها و " دنيا " متهاوي و " الجنة الآن " شهادة شجاعة

القاهرة - فيصل عبد الله

شكري؟ بطبيعة الحال، ستقفز الى ذهن المشاهد صور ذلك العمل وهو يتابع شريط الجزائر رشيد بلحاج الذي عرضه مهرجان القاهرة السينمائي الدولي الأخير. من دون شك، ثمة شجاعة في مقاربة "الخبز الحافي" خارج المسابقة) تحسب لصالح بلحاج. إلا أن الشجاعة لا تضمن لوحدها نجاح تحقق المنجز الفني. تدخلنا اللقطة الأولى لشريط بلحاج، أقتبس نفس اسم الرواية، مباشرة التي تتبع حياة الكاتب محمد شكري (أداء الممثل المغربي سعيد طغماوي) منذ صباه وهو ينبت حوايات القمامة بحثاً عن كسرة خبز أو شئ نافع في حي فرنسي. مروراً ببيت عائلته القصديري، وعسف الأب الذي يحمله شكري السبب في مقتل أخيه عبدالقادر. ثم ينتقل الشريط الى تتبع مسارات الكاتب الحياتية، أول عمل له كنادل في مقهى، والتلصص على أبنه صاحبها وهي تستحم، وصحبته لعالم الكبار وارتياحه المواخير. والمرور بعالم السجن الذي تعلم فيه أبجديات الكتابة والقراءة، وحصوله على وظيفة معلم يكرر كلمة "أب" أمام طلابه، الى لحظة وفاته ودفنه قرب قبر أخيه.

ويقدم ما حافظ بلحاج على التسلسل التاريخي والحديث لمعظم فصول "الخبز الحافي"، إلا أن معالجته السينمائية جاءت فقيرة وخالية من الاجتهاد.

وبرهاننا، ذلك المشهد البائس لاستحمام أبنه صاحب المقهى في حديقة بيتها وهي عارية، أو مضاجعة لسنجينة الماخور، أو مظهر والدته الأنيق على خلاف بؤسها.. وتبلغ ذروة السذاجة في فتحة وعي شكري السياسي والمطالبة بنهائية الاستعمار الفرنسي، وعلى يد محضية ومحرض سياسي يلتقي به مصادفة في مظاهرة ديكورية، أداء بلحاج نفسه، الذي يعتقل لاحقاً ويفرز في الشاب شكري حب الوطن وتعليمه القراءة والكتابة في زنزانة السجن.. إذ جاءت تلك اللقطات سريعة وغير مقنعة فنياً أو سياسياً. شريط بلحاج سببه لسيرة صعلكو كتب حياته كشاهد، ولدراما عائلية واجتماعية، ولفضاء مدينة طنجة الملحن منه والمستور.

- رهان اللبنانية جوسلين صعب لم يكن أفضل من رشيد بلحاج. فصاحبة "عزل البنات"، جاءت الى مصر ومعها فكرة سربتها الى وسائل الإعلام لفترة قاربت الخمس سنوات، ومفادها التنبك لفضيحة ختان البنات. ولكونه من القضايا الحساسة في بلد مثل مصر، أقمحت صعب نفسها في موضوع عصي ومربك يتجاوز سذاجة المتعوض مع بنات جنسها. ولعل هستيريا التذاف

ولعاشدة شريط "دنيا" (خارج المسابقة)، فضلت نوعاً من المبالغة في متابعة أفضل هذه القصة المتهاوية. بطلنة الشريط تدعى دنيا(حنان الترك)

تحمل في يدها ليسانس آداب، إلا أنها تقرر وراثة مهنة والدتها الراقصة بعد وفاتها.

- وهكذا منذ اللقطة الأولى، ندخل في عالم دنيا وهي تتجاز امتحانها الأول في الرقص عندما يطلب منها قراءة نصوصاً من الشعر العربي القديم، لكن حالة نكوص تصيبها فتقعدها على خشبة المسرح، وحجتها كما جاء على لسانها: كيف يمكن للمرأة من تحريك جسدها وتوحي بفعل الحب، بينما يسعى المجتمع الى إخفاء أوثنتها وعدم الاعتراف بها. جوابها الجري، واجتياز امتحان الرقص، يثير إعجاب الأكاديمي والكاتب بشير (محمد منير)، ما يجعلها تدور في فلكه. فهذا الأكاديمي، المهوس بالمحافظ وطبع كتاب "الف ليلة وليلة" والشعر العربي القديم، يتعرض الى اعتداء غاشم يفقده بصره من قبل جماعة مترزمة لا تروقها تأويلاته التقدمية للتراث. لكنه سرعان ما يتغير في حالة حب صوفي مع صاحبة بانسون، ظلت تراوده بعطرها وجسدها الفارع. ومع هذا يقرر اصطحاب دنيا الى محل لبيع العطور حتى تفضح صورته كمغف!

- بالمقابل تواصل دنيا تدريباتها في هنز رديها، تتحد فردي ضد الإقصاء الاجتماعي، على يد استاذ فن الرقص الأشهر في مصر (اللبثاني وليد عوني)، الذي ظل يذكرها بعزيمة والدتها، هي نفس صورة دنيا المغلقة على حائط صاللة التمرين والتدريب، وكثورية لإحلال جسدي بين الأم الراحلة وأبنتها على الطريقة الصوفية. أو زيارتها لبيت تسكنه حفنة راقصات من جيل والدتها لتتعلم منهن هنز الردف. فيما يتحرك على الهامش شخصيات ثانوية، سائقة تاكسي عمومي مسترجلة تناكد زمانها الرجال من الأسواق وتقاسمهم طبق الكشري، لكن تحررها الشكلي الذي رسمته المخرجة يسقط في فخ شيقها الجنسي ونداءاتها المتكررة في زحمة شوارع القاهرة لزوجها الميكانيكي.

نص شريط "دنيا"، كنيته صعب بنفسها، متهاوي الى درجة انه يسئ للمرأة ولتقضاياها. إذ من الصعب اختصار المواجهة مع القوى المحافظة في بلدنا عبر الرقص الشرقي، أو المطالبة بالتحرر الجنسي، من دون الوقوف على أس المشكلة النسوية وبحجتها، بدلاً من استبدالها بياقطة الأمم المتحدة التي تظهر في آخر الشريط من" ان ٩٧ بالمنة من حالات الختان متواضعة في مصر". دنيا مخلوقة جيئة، أرادت من خلالها صعب ان تتكئ على رغبة طالبة تقاوض

شهادتها الجامعية بعالم الرقص وهز الأرداف، وعلى أكاديمي يلوك الماضي السعيد ويفضحه سلوكه الصبياني، وعلى شخصيات ثانوية لا تمثل في مجموعها إلا نفسها. ولعل شريط "دنيا" يمثل أفضل هدية مجانية قدمتها صعب الى من أرادت مواجعتهم في ذهنها.

- بيد ان رهان هاني أبو أسعد في "الجنة الآن" (فقرة عرب في سينما العالم) جاء من طبنة أخرى. فقد حقق هذا الشاب شريطاً متوازناً ومحكماً أقرب الى الشهادة السينمائية الحية، وعبر قراءة متأنية للأسباب التي تدفع بالشباب الفلسطيني الى تفجير أنفسهم. ومن خلال متابعة قصة سعيد وصديقه خالد اللذين يعملان في كراج لتصليح السيارات في مدينة نابلس، ووقوعهما بفعل اليأس والأحباطات من تحت الأسرائيلي والاسناد آفاق المستقبل، العنت تأثيرات الجماعات الإسلامية. مراحل التجنيد تمر عبر سلسلة اختبارات، وضمن جدول زمني محدد، الى ان يتم تزنيهرها بمفخحات بهدف تفنيد عملية انتحارية في تل أبيب. بالمقابل



يدفع المخرج فلسطينية تعيش في الخارج، كتورية عن فلسطيني الشتات، الى وجهة الحدث كونها ترى ان هناك بدائل سياسية لحل القضية الفلسطينية.

- لم يترك المخرج حيكته الدرامية تفلت من يديه، بل طعمها "بفضات" تهكمية، خصوصاً مشهد تلقين الشابين دروس التفجير فيما يلتهم أحد مسؤولي الجماعات الإسلامية سنديوشا. أما اللمسات النهائية للعملية، فيشارك المخرج طرفاً اسرائيلياً مقابل مبلغ من المال. تفضل العملية في أولها بسبب خطأ في التوقيت، مما يثني أحدهما ويواصل الآخر مهمته وهو جالس في حافلة مع مجموعة جنود اسرائيليين، وعبر لقطه أخذة تقارب فيها الكاميرا لما يدور في راسه. شريط "الجنة الآن"، نال جائزة الملك الأزرق كأحسن فيلم أوروبي وجائزة منظمة العفو الدولية في مهرجان برلين الأخير، قراءة سينمائية/ سياسية شجاعة، تتعالى على الوجد والعسف اليمويين، ولا تصادر حكم المشاهد رغم إداثته للعنف.

## المكتبة السينمائية

# مخرجون واتجاهات في السينما الأمريكية



عروض - عبد العليم البناء

في هذا الكتاب الذي يجيء ضمن سلسلة الفن السابع التي تصدرها المؤسسة للسينما السورية يسلط الناقد سمير فريد الضوء على نخبة من المخرجين السينمائيين الامريكان الذين يتميزون بطبيعة تجاربهم السينمائية وما حققوه من حضور ابداعي سواء على صعيد هوليوود ام المهرجانات السينمائية الدولية فضلاً عن جوائز الأوسكار..

ويتناول سمير فريد قراءات نقدية عميقة ودقيقة ومزدانة بكم من المعلومات المختلفة التي تقدم خلفية شاملة لأي من المخرجين الذين تناولهم ويبلغ عددهم (٥٠) مخرجاً مع انتقاء لبعض الافلام التي مساحة زمنية لا تقل عن ثلاثة عقود فيبتدئ بالمخرج ستيفورث هايمان وفيلمه (بيان الضراولة) الذي فاز بجائزة لجنة التحكيم في مهرجان كان السينمائي الدولي عام ١٩٧٠ والمهد عن رواية (بيان الضراولة: ملاحظات طالب ثوري) التي ألفها الطالب جيمي سيمون كوتين من واقع اشتراكه في احتلال جامسة كولومبياني نيسان عام ١٩٦٨ ولاقت نجاحاً جعل مؤلفها من اشهر كتابات أمريكا وهو في العشرين من عمره... ويختتم كتابه بقراءة نقدية شاملة لفيلم (شيريك) لفينكي جينسون وأندرو آدمسون الذي يعد أول فيلم تحريك تختره إدارة مهرجان كان عام ٢٠٠١ للعرض في مسابقة الافلام الطويلة لأنه لا يتعارض مع لائحة المهرجان فالمسابقة للافلام التمثيلية الطويلة اي انها مفتوحة حيث المبدأ

تواصله مع مشاكل الناس وتشجيع منتج برنامجه وصديقه الذي يمثل دوره كلوني نفسه. أعاد كلوني يممثليه بناء ستوديو (شاهدها الآن) لي يجعله ميدان مواجهة مابين قوى اعلام الحقيقة السحرية وبين الجاذبية المساوية للتاريخ، هذا الرموز الذي حاول مكارثي المدمن على الكحول والمتجنني في تحقيقاته هدمه، وهذا البرنامج الهندي عكس بالصوت والصورة حقيقة تهديد مكارثي لأسس الحرية الأمريكية نفسها.

الواقع أن مجموعة من الافلام المهمة ظهرت مرة واحدة هذه الأيام كلها ذات طابع سياسي سنقدم عرضاً لأبرزها في فرصة قادمة من منطلق وحدة الموضوع، أما (ليلة سعيدة وحظاً سعيداً) كما يبدو من اللقالات النقدية التي أطلعننا عليها فهو الأوفر حظاً ومرشح لجائزة الأوسكار برغم أنه انجز بميزانية متواضعة (٧ ملايين دولار) وقد بلغت إيراداته حتى الآن ٢٣ مليون دولار. يرى فيه النقاد وصفاً لأمريكا اليوم من خلال أمريكا الماضي وقد تساءل العديد من المعلقين بعد رؤية الفيلم (( هل لدينا مرور اليوم ؟ ))، يشعر اليساريون الأمريكيون بفرحة غامرة لهذا الفيلم الذي أنصفهم أيما أنصاف وبين الضرق بين

استئصال صحفيي اليسار في الماضي وتخاذل صحفيي اليوم أمام أخطاء السلطة الحظرية وسياساتها الخارجية المدمرة. الممثل ستراثيرن نفسه يساري ويفخر بأسناد هذا الدور إليه قائلاً أن اليساريين كانوا دائماً يتخذون المواقف الصحيحة بشأن المسائل الكبرى (( تصويت النساء، حقوق السود، حرب فيتنام، الكفاح ضد المكارثية...)) هل أن هذا النمط من الافلام على شكل ظاهرة ولو محدودة يرمز الى صحوه يسارية جديدة أم يشير اليها ام يثني بها ؟

مهمم كان تقديم مادة للتأمل الى مشاهدي التلفزيون. لكن كحاية البطل ليست محصورة ضمن إطار المهنة البسيط، فالسيناريو يلقي الضوء على شخصيات تكافح من أجل عالم أفضل، مفتوح، ويمكن احتمالها الى جوار الآخرين وترفض أن تنحدر الى الوضاعة، والمشاهد لا يستطيع إلا أن يقيم مقارنة بين قصة الفيلم والقصص الثقافية التي تخرج من هوليوود يوماً. نفذ على شريط بالأسود والأبيض، هذان اللونان اللذان باتا يشيران الى السمة الوثائقية في أفلام اليوم تركيبة معقدة مع تدخلات بصوت مغنية الجاز ديان ريفيز كأحالة الى أيام هوليوود العظيمة وتأكيد على جمال الشخصية الأسطورية لما يروى من جانب الصحفي ومن حاذب سياسي الغرب الأوسط الذي بدأ حياته يسارياً ثم تحول الى آلة سادية لللاحقة اليساريين وتصفيتهم. اختار كلوني لتجسيد شخصية الصحفي الممثل ديفيد ستراثيرن الذي عادة مايعهد إليه المخرجون بأدوار ثانوية سوى جون سايلس الذي يعطيه غالباً شخصيات افلامه الأكثر خصوصية، يمثل هنا الشخصية المغلقة على التأثيرات المحبطة الخارجية باستثناء



للافلام التسجيلية الطويلة وافلام التحريك الطويلة أيضاً مما شكل عرضه في المسابقة امتيازاً في حد ذاته، وهو يتناول موضوعة الجميلة والوحش طيب القلب الذي يحب الجميلة ولكن بمعالجة جديدة حيث نجد الجميلة بدورها تتحول الى وحش في الليل ولا تكون جميلة الا في ضوء النهار بفعل السحر.

وبين هذين المخرجين نطلع على تجارب وابداعات (٤٨) مخرجاً آخر ما يقدمه سمير فريد بعين الناقد المتمكن والحادق في مشاهدة ورؤية بانوراما شاملة للسينما الأمريكية عبر ثلاثة عقود وأكثر من عمرها وفرز زيمانا والان باكولوكوستا كافراس والان باركر وميل جيبسون

## كلايت

# قضية بازوليني

## علاء الصخرجي

بعد ما يقرب من ثلاثين عاماً يعاد فتح ملف مقتل المخرج الايطالي بيير باولو بازوليني بعد الاستماع الى شهود جدد وبروز ادلة جديدة عن جريمة هزت الضمير

الايطالي. وما كان قبل ثلاثين عاماً مجرد تكهات، أصبح الآن اقرب الى الحقيقة فيما يخص توجيه الاتهام الى النازيين الجدد وهذه المرة بعلم المخابرات الايطالية. ومثلما اثارت حياته وسيرته الابداعية جدلاً عميقاً، فقد اثار موته وما يزال الجدل نفسه، فهو رجل التناقضات بجدارة، ففي الوقت الذي منحت فيه الدائرة الكاثوليكية في مهرجان فينسيا فيلمه بشوريم (قضية اثبات) الجائزة الاولى في مهرجان فينسيا، صادرت العدالة الايطالية بكرات الفيلم بتهمة انه فيلم (داعر)، لينصب الهجوم من قبل الحكومة والكنيسة على هذا العمل الذي تعذر تصنيفه، ومثلما اعلن الحاده كان يمتلك اعجاباً بالاناجيل.

لقد لازم سوء الفهم هذه الشخصية الاشكالية في الحياة والموت فقد كان في جميع افلامه صادماً وخارجاً عن السائد والمألوف وحياته الخاصة كانت تسبب من التشويق واللبلة بقدر ما تسبب اعماله. كان في حياته صعب على التصنيف فما ان كرس نفسه شاعراً وكاتباً حتى تحول الى السينما ككاتب سيناريو ثم منتجاً ومخرجا لينظر اليه الناس كسينمائي كبير.

اثار موته او الطريقة الوحشية التي استخدمت لانهاء حياته الكثير من الجدل. الكثير من الاسئلة التي اثارها الجريمة لم تقف عند كونها جريمة جنسية قذرة، بل تعدتها الى مؤامرة فاشية. ويذهب الذين يعتقدون بأنها مؤامرة مدبرة الى ان هناك الكثير من الاشارات التي تشير الى ضلوع (عصابات المجازر السوداء) النازية في عمليات اغتيال منقذين شبيهيين ببازوليني.. وكان فيلمه الاخير الذي يعد الاكثر غموضاً وصعوبة (سالو او ١٢٠ يوم في سادوم) والذي انجزه قبل ايام من موته دافعا قويا لاغتياله. هذا الفيلم الذي حظ بالآلام ومناظر التعذيب والقتل والاغتصاب والذي يدور حول الموت والفاشية.

واذا كان فيليب بيازو يرى في موت بازوليني الوحشي كما لو انه درب الصلبي، فان جميع ابطال افلامه شهداء او يموتون بوضعية الصلبي كما شخصية كاتور في حكايات كاتنريري.

اعادة فتح قضية بازوليني قد لا تضفي له وتاريخه شيئاً...ولكنها ستعيد الاعتبار الى واحدة من اهم حقب السينما الايطالية والعالية.. ذلك ان بازوليني ترك تراثاً سينمائياً ثرا أصبح مع الوقت درساً جمالياً وفكرياً لكل المشتغلين بالفن السابع.

تلقى الجمهور والنقاد على حد سواء هذا الفيلم بالحماسة فقد اعتبره البعض مقدماً أفضل فيلم في عام ٢٠٠٦ فيما قال ناقد أنه مادامت السينما الأمريكية تنتج افلاماً كهذا تبقى في الأفضل في العالم وعلق آخر قائلاً أن هوليوود تكون بهذا الفيلم قد استعادت مجدها، فأي فيلم هذا الذي يستقبل هذا الاستقبال؟ لايمكننا أن نعلم تلقى الفيلم عن هذه المرحلة التي تواجه الولايات المتحدة فيها كرها وانتقاداً عالميين لمجمل سياستها فكيف اذا جاء الفيلم ليتحدث عن فترة خالدة من التاريخ الأمريكي بطغيانها وظلمها في الفترة الكارثية سبئة التصيت وبالتحديد يتحدث

عن اعوام 1954-195٢ - حين واجه الصحفي وعلم البرامج في قناة السبي بي أس ( ادوارد مور ) السيناتور مكارثي . ي اخرج جورج كلوني قبل هذا الفيلم ( اعترافات رجل خطير ) عام ٢٠٠٢ بطولة تشاك هاريس . الشخصيتان المركزيتان في الفيلمين صحفيان يعملان في التلفزيون، وفي حين يتعرف تشاك على الحقيقة ليدهرها يعضها مور في مكانها المناسب من خلال الاعلام . عمل كلوني في فيلمه الثاني ممثلاً واشترك في كتابة السيناريو وفي الانتاج . عنوان الفيلم هو العبارة التي كان مور يختم بها برنامجه الاسبوعي ( شاهدنا الآن ) وهو أول برنامج اتخذ أسلوب التحقيقات التلفزيونية وبث في اعوام الخمسينيات . كان على مور أن يقف أمام جوزيف مكارثي بتهمة الشيوعية بين ١٩٥٣ و ١٩٥٤ وهذه الوقفة تشكل محور الفيلم الذي اخرج بالأسود والأبيض وأدار تصويره روبرت اسويت . كشف الحقائق وعرضها حول نوازع وغد اسمه مكارثي يتصدى بالأذى للنماذج الخيرة ( مور وفريق عمل البرنامج ) لالشيء سوى أن